مجلة "آفاق فكرية"

رت م د :2353 - 0367

رت م د إ: 2602-5507

ص. ص. ... - ...

الحفر الفني والفنون التشكيلية الأخرى :تقاطعات واختلافات

Artistic Engraving and Other Plastic Arts: Intersections and Differences

سامي عافي *

جامعة القيروان 1(تونس)

sami.affi.2018@gmail.com

0009-0008-6519-0497

تاريخ الاستلام: 24-10-2025 **تاريخ القبول:** 02-04-2026 **تاريخ النشر:** 2026/05/19

ملخص:

في سيمفونية الإبداع يأتي الحفر الفني كأداة فنية راقية، تتناغم مع بقية الفنون في إيقاع واحد فاتحةً آفاقًا جديدة للفنانين للتعبير عن أفكارهم وآرائهم، ليظل الحفر الفني فنًا مستقلًا ومؤثرًا يلهم الإبداع ويخلق تجارب فنية فريدة يمكن أن تكون وسيلة قوية للتعبير عن قضايا فنية وتشكيلية، خاصةً أن الحفر الفني يقف على تماس مع باقي الفنون، لكنه لا يذوب، هو أثر في لوح أو معدن، نقش على سطح وجرح جميل على وجه الورق، يشترك مع الرسم -مثلًا- في الخط ومع النحت في العمق، لكنه يشدو بصوت خاص لا يشبه إلا صدى يديه، بينه وبين بقية الفنون الأخرى تقاطعات لا تُحصى، واختلافات لا تخطئها العين.

كلمات مفتاحية: الحفر الفني؛ الفنون التشكيلية؛ الإبداع؛ التقنية؛ التعبير البصري

Abstract:

In the symphony of creativity, artistic engraving emerges as a refined artistic tool, harmonizing with other arts in a single rhythm, opening new horizons for artists to express their thoughts and opinions. Engraving remains an independent and influential art that inspires creativity and creates unique artistic experiences. It can be a powerful means of expressing artistic and plastic issues, especially as artistic engraving stands in contact with other arts, yet does not dissolve within them. It is a mark on a board or metal, an inscription on a surface and a beautiful wound on the face of paper. It shares with drawing—for example—the line, and with sculpture the depth, but it sings with its own voice. Between it and the other arts there are countless intersections, and differences that the eye cannot miss.

Keywords: Artistic Engraving; Plastic Arts; Creativity; Technique; Visual Expression

المقدمة:

يعتبر الحفر الفني أحد الفنون التشكيلية العريقة التي امتلكت هوية تقنية وجمالية خاصة، وساهمت بشكل كبير في تطور التعبير البصري عبر العصور. غير أنّ هذا الفن لم يكن بمنعزل عن باقي الفنون التشكيلية، بل تداخل معها في كثير من المراحل الفنية، متقاطعا في مفاهيمه وتقنياته ومقاصده التعبيرية، وفي ذات الوقت محافظا على خصائص تميزه عن الرسم أو التصوير أو النحت أو بقية الفنون الرقمية.

وفي هذا السياق تبرز أهمية هذا البحث في دراسة العلاقة بين الحفر الفني وبقية الفنون التشكيلية الأخرى، من حيث التقاطعات المفاهمية والجمالية من جهة، والاختلافات التقنية والوظيفية من جهة ثانية. فكيف يعرّف إذا هذا الفن "؟ وماهي أبرز خصائصه التقنية؟ وماهي أبرز الفروق الجوهرية بين الحفر الفني وبقية الفنون التشكيلية الأخرى؟

1.نبذة تاريخية عن الحفر الفني:

يعتبر الحفر الفني من أقدم وسائل التعبير الفني و ***"يعتبر فن الحفر من أقدم الفنون الجميلة في التاريخ وقد بدأ به الإنسان منذ العصور القديمة، وهو من الفنون الحرفية التي يتحول السطح من خلالها إلى فنون جميلة نابضة بالحياة بواسطة أياد ماهرة في هذا الفن الجميل."*** (العلي، ديسمبر 2015) ويعود تاريخه على الحضارات القديمة، كالمصرية والآشورية، حيث استخدم الحفر لأغراض توثيقية وزخرفية. غير أن تطوره الحقيقي كفن مستقل بدأ في أوروبا خلال القرن الخامس عشر مع اختراع الطباعة، حيث ظهر الحفر على الخشب ثم على المعدن.

في الصور الحديثة، خاصة مع ظهور الطباعة الحجرية (ليتوغرافيا) ثم الطباعة بالشاشة الحريرية، تطور الحفر من أداة نسخ وتكبير على وسيلة تعبير فنية راقية لها لغتها وتقنيتها الخاصة وتم الاعتراف به ضمن الفنون التشكيلية الكبرى.

2.الخصائص التقنية للحفر الفني:

يتميز الحفر الفني بتقنيات متعددة، يمكن تصنيفها وفقا لنوع السطح المستخدم وطريقة السحب (tirage) ومحتوى المسحوبة المشحون بالتجارب والتصورات وهذا تقريبا ما قصده كمال عبد الله بقوله:***" لقد مثل الحفر الفني في القرن 21، مع الجيل الناشئ، مسارا مشحونا بتجارب وتصورات***

متنوعة ومسكونا بهاجس التطوير والاختلاف." (عبدالله، 2024) وأعتقد أنّ ذلك عائد إلى تعدد التقنيات واختلافها ومن أبرزها:

الحفر الغائر (gravure en creux): مثل الحفر على النحاس أو الزنك ... حيث تنقش الصورة على السطح ثم تملأ الأحافير بالحبر.

الحفر البارز (gravure en relief): مثل الحفر على الخشب والحفر على اللينو ... حيث تكون الأجزاء غير المحفورة هي التي تطبع.

الطباعة المساحية (planographic): مثل الليتوغرافيا، حيث يتم الرسم مباشرة على سطح مستو بالحبر أو الشمع.

الطباعة من خلال الشاشة: وتعتمد على تمرير الحبر عبر نسيج خاص ومن أشهرها تقنية السيريغرافيا.

تتطلب هذه التقنيات مهارات دقيقة في المعالجة اليدوية إلى جانب معرفة علمية كبيرة بخصائص المواد، مما يجعل فن الحفر مزيجا بين الإبداع الفني والدقة التقنية.

2. التقاطعات بين الحفر الفني والفنون التشكيلية الأخرى:

2..1 المفهوم البصري والتعبيري:

يتقاطع فن الحفر الفني مع الرسم مثلا في استخدام الخط والملمس والظل والنور. فكلاهما يسعى إلى بناء فضاء تعبيري باستخدام العناصر التشكيلية الأساسية كالخطوط والأشكال والألوان والمساحات والتراكيب... وهذا تقريبا ما عبر عنه إبراهيم زكريا بتلك العلاقة الجدلية بين القيم التشكيلية والتعبيرية حيث يقول: ***" هناك علاقة ترابطية بين القيم التشكيلية والتعبيرية، حيث أنّ القيم التشكيلية بوضوحها المادي عاملا مساعدا في الاستدلال على القيم التعبيرية."*** (العمدة، 1986) ومن هنا نتبين أهمية القيم التعبيرية والتشكيلية في بناء العمل الفني وقراءته، بل هي شرط كل وجود ابداعي يسعى الفنان إلى تحقيقه.

2..2الوظيفة الفكرية والجمالية:

وبما أنّ الرسم أو التصوير هو وسيلة للتعبير عن أفكار فلسفية ومواقف اجتماعية فإنّ الحفر كذلك ظلّ حاملا لمضامين نقدية، سياسية أو رمزية. فالتعبيريين الألمان مثلا استخدموا الحفر كوسيلة لنقل معاناة الانسان وتمثيل الفظائع الاجتماعية.



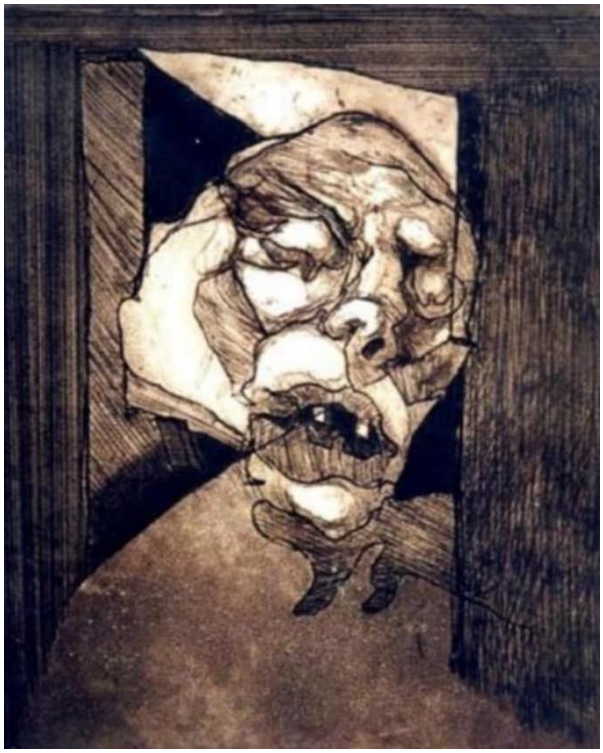
3.التجريب التقني:

شهد الحفر كغيره من الفنون، موجات من التجريب. فعديد هم الفنانون الذين قاموا بتجريب تقنيات الحفر على الحفر او دمجها بالرسم أو الكولاج، مما أنتج أعمالا تقع في مناطق وسط بين الرسم والحفر وتطرح عديد الأسئلة حول نوعية العمل ولنا في ذلك على سبيل المثال الفنان عبد الحميد الثابوتي وباكر بن فرج ورشيد عمارة. ولنا في ذلك هاته الأعمال التي تدعم ما كنا نقوله:



صورة عدد (1) كمال عبد الله، تقنية مختلطة (حمضية منقوشة ومساحية) 25/35 صم, 2012

صورة عدد (2) عبد الحميد الثابوتي، تقنية مختلطة (حمضية منقوشة ومساحية) , 26/32 صم



صورة عدد (3) رشيدة عمارة، داخل الجدار، تقنية مختلطة (حمضية منقوشة ومساحية) , 44/67 صم, 2012

صورة عدد(4) نبيل الصوّابي، تقنية مختلطة، حفر مع رسم

تمثل الصورة عدد 1 و2 و3 أعمال تشكيلية حفرية حاول فيها كل من الفنان كمال عبد الله، عبد الحميد الثابوتي ورشيدة عمار، دمج أكثر من تقنية حفرية في المسحوبة الواحدة فكانت الأعمال بذلك ثرية بالمفردات والرموز غنية بالمعاني والدلالات وخاصة بطرحها لعديد القضايا و علاقتها بالجمال و القبح و المرجعيات الأسطورية والرموز والأنساق التراثية, غير أننا نشهد طرحا أسلوبيا وتشكيليا مغايرا اكتسى صبغة ذاتية وخصوصية فنية مع الفنان نبيل الصوّابي الذي تأثر بورشة فرانسيس بايكون وحاول دمج عديد التقنيات داخل العمل التشكيلي الواحد (صورة عدد 4). وهذا تقريبا ما أكده سليمان الكامل بقوله: ***" يعرف نبيل الصوّابي جيدا أنّ ورشة فرانسيس بايكون كانت مليئة بالصور***



الفوتوغرافية ويعي أهمية الورشة فضاء للتفكير لا لمجرد الإنجاز والتنفيذ. علاقة عضوية تربطه بها، فيها يقضي أغلب وقته، يتمثل العالم من خلالها وفيها، هي فضاءِ الحميمي، حيث يشتغل ويحلم ويسهر ويتذكر" (الكامل، 2014). وأعتقد أن ذلك هو عالم نبيل الصوّابي المتميز بالواقعية السحرية من خلال مزجه في أعماله بين العناصر اليومية والمشاهد المتخيلة لخلق تجربة بصرية جديدة يسعى من خلالها إلى مخاطبة المتلقي البسيط مما يجعله بعيدا كل البعد عن منطق التعقيد والترميز المبالغ فيه.

الوسائط المختلطة:

في الفترة المعاصرة أصبح من الشائع ومن الهيّن دمج فن الحفر بتقنياته المختلفة مع فن الرسم والتصوير والطباعة الرقمية وحتى الفيديو.

وهكذا يمكن أن نقر بزوال كل الحدود التقليدية بين فن الحفر وبقية الفنون الأخرى وجعل الحفر الفني أحد مكونات العمل الفني المركب.

الفروق الجوهرية بين الحفر الفني والفنون:

الميزة التقنية:

بينما يتم الرسم عادة بشكل مباشر على السطح النهائي (ورق، قماش، خشب...) فإن الحفر يعتمد على عملية غير مباشرة، حيث يتم نقل الصورة من لوح الحفر إلى الورق. إنّ هذه لأراها تفرض تفكيرا مختلفا لدى الفنان، إذ يجب أن يعكس الصورة منذ البداية تخطيطا ورسما ثم بعد ذلك حفرا وأن يتنبأ بالنتيجة النهائية قبل التنفيذ أي قبل عملية السحب.

إمكانية التكرار:

من أبرز خصائص الحفر الفني قدرته على انتاج عدة نسخ أصلية للعمل ذاته. في المقابل تعتبر أغلب الفنون الأخرى وخاصة الرسم والتصوير انتاجات فريدة لا يمكن تكرارها بنفس الشكل.

العلاقة مع الزمن:

يتيح الحفر الفني إمكانية توثيق الزمن والحدث بطريقة مباشرة نظرا لطبيعته التسلسلية، إذ يمكن للفنان انتاج سلسلة متتابعة توثق لحظة معينة من زوايا مختلفة في حين أنّ الرسم يعبر غالبا عن لحظة واحدة متكاملة.

الطابع الرمزي والتجريدي:

نظرا لطبيعته الخطّية وتقنياته التي تفرض قدرا من التبسيط، يميل فن الحفر إلى التجريد والرمزية أكثر من الفنون الأخرى مما يجعله أداة فعّالة للتعبير عن الأفكار المجردة أو المفاهيم الفلسفية العميقة.

التأثيرات المتبادلة بين الحفر الفني والفنون الأخرى:

قد لا ننكر تأثر فن الحفر ببقية الفنون الأخرى وتبادل التأثير معها عبر العصور ولنا على سبيل المثال:

الحفر والتصوير الفوتوغرافي: هناك تقنيات حديثة تدمج بين الحفر والتصوير مثل الطباعة الفوتوغرافية على الزنك مما يتيح إمكانيات تعبيرية جديدة.

الحفر والنحت: يشترك فن الحفر مع النحت في العلاقة المادية مع السطح والفراغ كما استخدمت بعض تقنيات النحت في أعمال الحفر على الخشب أو المعادن.

الحفر والفن المفاهيمي: وتظهر تلك العلاقة خاصة مع ظهور الفن المفاهيمي حيث لم يعد الحفر مجرد تقنية وإنما أصبح أداة يستخدم لإيصال فكرة أو موقف تشكيلي فلسفي.

الخاتمة:

يحتل الحفر الفني موقفا مركزيا بين الفنون التشكيلية، ليس فقط كفن تقني ذو خصوصية عالية، بل كوسيط تعبيري قادر على استيعاب تقاطعات متعددة مع باقي الفنون ورغم ما يميزه من اختلافات على مستوى التقنية وطريقة التلقي ووظيفتة إلاّ أنّ هذه الفروق لم تمنعه من التفاعل والتداخل مع باقي الفنون التشكيلية، بل أنّها أثرته ووسّعت آفاقه.

إنّ دراسة هاته العلاقة بين الحفر الفني وباقي الفنون لا تفتح فقط الباب لفهم أعمق لهذا الفن، وإنما تسهم أيضا في استيعاب التطور الكلي للمشهد التشكيلي العالمي.

المراجع:

خليل العلي. (ديسمبر 2015). *الفن الأقدم الحفر على الخشب*. مصر: مجلة العربي الجديد.

سليمان الكامل. (3 يوليو, 2014). نبيل الصوابي يكتب بألوانه رحلة العالم العربي إلى الضفة الأخرى. *مجلة العرب*.

عادل العمدة. (1986). في فلسفة القيم.

كمال عبدالله. (2024). *مجلة الفنون الجميلة*.